المفاهيم المؤسِّسة لفلسفة أفلوطين

د. بن دنيا سعدية، جامعة مستغانم

تعبّر فلسفة أفلوطين(Plotin) عن انفتاح أفق معرفي للخطاب الفلسفي الموروث عن الفلسفتين الأفلاطونية والأرسطية، كاد ينغلق مع اللوغوس الأرسطي، وهو ما يدل على أن الجهد الأفلوطيني تركز بالخصوص في إعادة الفرع إلى الأصل، أرسطو إلى أفلاطون بقراءة تراجعية مكثفة. وتشكل مجموعة المفاهيم الفلسفية الأفلوطينية منظومة المقولات الافتتاحية للفكر الأفلوطيني، بحيث تعبر عن جملة المفاتيح الأساسية للدخول إلى النص الأفلوطيني وقراءته من حيث اندراجها، ضمن خط جعل الفلسفة نسقا، دينيا وعليه سيتم التمييز بين واقعية الكلي المفارق (أفلاطون) والمحايث (أرسطو) والمتنقل خارج الزمان، من المفارقة إلى المحايثة (أفلوطين).

كان يبدو أن فلسفتين (الأفلاطونية والأرسطية) قد اكتمل نساقهما، وأن منظومتيهما المفاهيميتين قد انغلقتا على نفسيهما بتنازع المفاهيم وتقاسم الميتافيزيقا، ليبحث التأرجح الأرسطي بين واقعية المعقول الأفلاطوني وواقعية المحسوس السفسطائي عن حل ليجده في الأفلاطونية المحدثة، بتحويل التأرجح إلى كلي واقعي[1] أله المثل الرياضية المنطقية والقيم السياسية التاريخية بفضل نظرية العقول التي يفيض بعضها عن بعض وهو ما يعبر عن حل جامع بين الفلسفتين[2].

وعليه فإن المنظومة المفاهيمية في الأفلاطونية المحدثة، عند أفلوطين[3]، ستعتمد أساسا على مقاربات تيولوجية كمحاولة لتوسيع الكلي الواقعي، وهو في الوقت نفسه محاولة

---

[1]- الأفلاطونية المحدثة، عند أفلوطين خاصة، هي محاولة لإيجاد حل للمتراجحة الأفلاطونية ـ الأرسطية في مسألة الكلي النظري والعملي من خلال نمط التفكير الأفلوطيني (الكلمة الفائضة) ومسألته الرئيسية (الواحد والكثير)، وعلى الرغم من أن الأفلاطونية المحدثة لم تنه وجود الأفلاطونية و الأرسطية إلا أنها استثمرت نسقيهما في حل مسألة الكلي بدءا برفع أفللوطين للفلسفة إلى مستوى إلهي وهنا ستندرج ضمن هذا المستوى مفاهيم (الألوهية، الواحد، الأول العقل...) وهي المفاهيم التي تعبر عن حلول لمسألة في شكلها المعرفي والمنطقي على الخصوص، وهو ما يؤسس منظومة فلسفية ومعرفية تؤثر على البحوث المنطقية وعلى الخطاب المعرفي عموما.

[2]- وهو ما يحيل إليه مؤلف الفارابي (الجمع بين رأيي الحكيمين) في محاولة منه للتوفيق بينهما برد أحدهما إلى الآخر (انظر: أبو يعرب المرزوقي، (تجليات الفلسفة العربية)، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001. حيث يعتبر أن فلسفة الفارابي تمثل أحسن تمثيل الصياغة الأولى للأفلاطونية المحدثة العربية، حيث يلتقي بحكم مزيج غريب ، أفلاطون و أرسطو في حل أفلوطين (المرجع نفسه، ص: 14) .

[3]- وفقا للمعلومات الفتي أوردها فرفوريوس نجد أن أفلاطون قد ولد في السنة الثالثة عشرة من حكم الملك سنفيروس، وهي تقابل بتاريخ اليوم سنة 203 م أو 204، ومع ذلك من المؤكد أن ولادته كانت في صعيد مصر، أو في مصر الوسطى (أسيوط اليوم) من أبوين رومانيين عرف بانتمائهما إلى المسيحية في أواسط العقد الأول من القرن الثالث بعد الميلاد وهو العصر الذي شهد موجة من القلق والاضطرابات وكان نذيرا بانتهاء الحضارة اليونانية .

انتقل أفلوطين من الإسكندرية إلى روما بعد وفاة معلمه أومونيوس واستقر بها وعكف على دراسة الفلسفة في مدرسته التي ضمت عددا من المستمعين من أبرزهم فرفريوس الصوري الذي قصد روما سنة 263 م قادما إليها من أثينا

منطقية جديدة. الخروج عن الزمان يعني الخروج عن الحركة التاريخية والدخول في دائرة المطلق وهو ما ينتج مفهوم الألوهة (الله، الإله، الواحد، الأول،...) والانتقال يحيل إلى مقاربة مفهوم العالم، وإدراك فعل الانتقال يحيلنا إلى مراجعة مفهوم العقل، ولأنه إدراك متعال فهذا يجعلنا نعالج نظريا مسألة النفس أو الروح، وبهذا نتمكن من مقاربة الخطاطة المعرفية للفكر الأفلوطيني ومنه الأفلاطونية المحدثة اللاحقة عليه.

1/ الألوهية والكلي المطلق:

تتمثل الألوهية كنسق من الصفات والحقائق المتعلقة بالمجال الذي تنخرط فيه تسمية المطلق أو هي ((صفة المؤله، أو ماهية كنه الذات الإلهية، وهي عند الصوفية اسم مرتبة جامعة لمراتب الأسماء والصفات كلها، أو اسم لجميع حقائق الوجود و حفظها في مراتبها، إذا أضيف لفظ الألوهية إلى الشيء دل على تأليه ذلك الشيء، كما في قولنا ألوهية الجمال، وألوهية الحب، وألوهية المال))[1] ولهذا تشتمل الألوهية الأفلاطونية على نوعين للإله: الإله بما هو مثال المثل أو الخير والإله الصانع.

ويُعرّف صاحب التعريفات ((الإلهية)) بأنها ((أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية كما أن آدم عليه السلام أحدية جمع جميع الصور البشرية))[2]. وبهذا فإن الشمولية المتضمنة في معنى الألوهية هي ما يعطي الشعور بوجود الإله من خلال الوجود نفسه دون إدراك هذه الشمولية . لذلك يرى لوبا (U.H.Leuba) ((أن الله غير معلوم إنه متداول He is used))[3]. أي أن معنى الألوهية يستمد من تجربة الحقيقة الإلهية في الوجود، غير أن إدراك هذه التجربة المرتبطة بالوجود يتأرجح في الكتابات الفلسفية والتيولوجية بحيث يتعارض هذا الإدراك مع الشمولية وهو ما يشكل كتابات الإلحاد في تاريخ قراءة الألوهية[4].

يشكل مفهوم الإله في الفلسفة اليونانية مفهوما محوريا إذ من تعقله تصدر جميع النظريات المتعلقة بقضايا المنطق (الكليات)، الميتافيزيقا،.. والبحث عن نظرية في ((الإله)) لدى الفلاسفة اليونان يعني البحث عن نقطة ارتكاز لإيجاد مبدأ للمعرفة ونموذج لعمليات

و بها وافته المنية. وعن مؤلفات أفلوطين فهي أربع وخمسون مقالا جمعها فرفوريوس بعد وفاته في ست مجموعات تحتوي كل واحدة على تسع مقالات، وعلى هذا سميت بالتساعيات أو التاسوعات Enneades. انظر: [كتاب فرفوريوس في حياة أفلوطين وتصنيف مؤلفاته] ضمن: تاسوعات أفلوطين، تر: فريد جبر، مرا: جيرار تهامي، سميح دغيم، مكتبة لبنان، بيروت 1997. وتعد ترجمة فريد جبر للتاسوعات عن أصلها اليوناني النشرة الوحيدة الكاملة باللغة العربية، وكان قد ظهر قبلها ترجمة التساعية الرابعة في النفس لفؤاد زكريا، إلى جانب عدة مقالات متفرقة قام بترجمتها عبد الرحمن بدوي.

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مكتبة المدرسة، لبنان 1994، ج1، ص 129.

[2]- علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ،1985، ص 35.

[3]- موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت / باريس ، 1997، م 1، ص 280.

[4]- Cf. Cécile Romane, "de l'horrible danger de la lecture", Balland, Paris, 1989.

العقل، ومنه تمثيل مستويات هذه المعرفة في مستوى كلي بحيث تنتظم في خطاب وتلتئم في نسق، بل يكون ((مفهوم الإله والهوية والمعرفة والمفاهيم هي الفلسفة نفسها))[1]. أي أن تناول الفلسفة لمفهوم ((الإله)) هو تناول تكويني يدخل في نظم الخطاب الداخلي للفلسفة ومنه يعتبر لالاند أن ((إله الفلاسفة والعلماء هو الكائن العقلي الذي يدرك أو يفترض إدراكه بمنهج عقلي، والذي يعتبر مبدأ تفسيريا أو وجوديا يتوق الإنسان إلى تحديده وحتى إلى التأثير فيه، كأنه شيء يمكن امتلاكه في ما يكون عنه من تمثل))[2]. هذا التعريف يجعلنا نعتقد بوجود حلقة معرفية بين الفلسفة والألوهية وأن كلاهما يدفع الآخر لإيضاح نسقه الخاص ونخر العتامة التي قد يشكلها نقص، في منهج الفهم أو المسافة التي تقع بين حديهما وعلى هذا ((تتناول الفلسفة موضوع الإله من ثلاث نواح:

1- التمثل العقلاني (الفلسفي) لمفهوم الإله،

2- دور مفهوم الإله في التمثل العلمي للعالم،

3- علاقة هذا المفهوم مع أشكال التمثل في منشأ الحياة الدينية[3].

ومن خلال هذه المحاور تكون الفلسفة الواسطة الخطابية بين الإله والعالم[4] ومنه يتعرف الخطاب الفلسفي غلى المنظومة المفاهيمية الداخلية التي تجمعه بمواضيع العالم التي تمر عبر التأشير الإلهي لتصبح مواضيع للمعرفة. في الفلسفة الأفلاطونية ((لا الواحد (في بارمنيدس)، ولا الجميل في ذاته (في المأدبة)، ولا الخير فيما وراء الجوهر (في الجهورية).. تتوافق بشكل واضح مع تسمية téos مما لا يمنع الإلهي Théon من تحديد معالم العالم الفوق حسي فينا وفي العالم))[5].

---

[1]- Encyclopédie Philosophique Universelle; les notions philosophiques, Puf, Paris, T1, 1998, P:654.

[2]- موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سبق ذكره ، ص277، (فمبحث الإله في الفلسفة هو مبحث إيجاد الأسس التي يعتمد عليها الخطاب الفلسفي في إصدار المعاني وتأشيرها (إن إله الفلاسفة هو المصدر الأولي والأساسي للمعنى) (Encyclo. Philo. Op.cit, P:648)).

[3]- Encyclo. Philo. Op.cit, P:649.

[4]- وتعبر عن هذه الفكرة مجموعة من الأساطير اليونانية ، كأسطورة بروموثيوس سارق النار المقدسة (المعرفة) عن الآلهة ومنحها للبشر، أو أسطورة هرمس الذي ينقل الكلام من الآلهة و يفهمه للبشر..Encyclo. Philo. Op.cit, P:649

[5]- Encyclo. Philo. Op.cit, P:649

وهذا يعني أن التمثل العقلاني لمفهوم التيوس له تمظهرات مختلفة ترتبط بالقيم المثالية التي يصبغها أفلاطون على مفهوم الإله بما هو كلي مفارق. أما ((الإله عند أرسطو فهو مبدأ لكل الأشياء ولانتقالها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل. إنه فعل محض وصورة مكتملة بحيث لا يؤثر فيه شيء ولا يبدله))[1]. وهذا المبدأ متضمن في وجود الأشياء أي أنه كلي محايث. بينما في الأفلاطونية المحدثة يصبح الكلي منتقلا، خارج الزمان، من المفارقة إلى المحايثة (أفلوطين)، وهو ما يعني دفع التصورات الواقعية النظرية والعملية إلى المطلق[2].

2/ الواحد، المبدأ الأول للوجود:

يشكل الواحد مفهوما جوهريا في الفلسفة الأفلوطينية و((يطلق الواحد على الموجود غير المنقسم الذي ليس له أجزاء))[3]. وعدم الانقسام ضمان منطقي لمبدأ الصدور أو الخلق وهذا ما يحيل إلى مبدأ آخر هو الكثرة، و((الواحد في فلسفة أفلاطون وأفلوطين أول أركان الوجود، فأفلاطون يحله محل مثال الخير ومثال الجمال والصانع ويقول إنه ليس بماهية وإنما هو شيء أسمى من الماهية ولا يوصف إلا سلبا، وأفلوطين عمل الواحد مبدأ الوجود، وهو عنده فوق العقل والنفس والمادة.. هو عنده ليس شيئا من الأشياء كلها وهو المبدأ الذي يفيض عنه كل شيء))[4] ويحقق في الوحدة مبدأ الشمولية. كما أن الكثرة تحيل إلى الانقسام وإلى التاريخي بينما الوحدة تحيل إلى المطلق.

من الناحية الوجودية يتصف الإله بالأولوية، أي بكونه يتقدم موجوداته حتى يكون مبدأ لها، ومنه تنتهي عنده الأسباب والعلل فيكون ضامنا لحقيقة وجود الأشياء وإلا تلاشت معانيها. و الأول من الناحية الوجودية أو الفلسفية هو الذي يكون سبب وجود الشيء وعلته

---

[1]- Ibid, P :649.

[2]- تعتمد المنظومة الفلسفية للأفلاطونية المحدثة على مفهوم المطلق بوصفه يعبر عن الكلية والشمولية، ((الإله ـ في الأفلاطونية المحدثة ـ مبدأ شامل للحياة ولكل الأشياء التي تصدر عنه، وكذا الأقانيم الثلاثة الأفلوطينية : أحدها وراء كل مفهوم وكل صورة و وراء الوجود نفسه، من الأول يفيض العقل مبدأ العالم المثالي والوجود الأساسي في عالم الموجودات ومن الأقنوم الثاني واللحظة التأسيسية الثانية تفيض روح العالم مبدأ نظام الكون و كل أرواحنا، إذ لا شيء يوجد قبل المصدر المطلق للوجود و الحياة و النور)) .) Encyclo. Philo. Op.cit, P:649 .

[3]- جميل صليبا، السابق، ج 2، ص 545 .

[4] - المرجع نفسه، ص 347

الغائية أو الفاعلة: المحرك الأول أو المبدأ الأول، أو الواجب الوجود بذاته. يقول سيسه Saisset: ((يقال إن الله أول الموجودات لأنه أول الحقائق، وكما يقال في ترتيب الأشياء إن كل شيء يجيء من الله وإنه هو نفسه لايجيء من شيء، فكذلك يقال في ترتيب الأفكار إن جميع المبادئ تستنتج من الله وإنه هو مبدأ نفسه))[1].

3/ العقل ومحاور المطلق:

مفهوم العقل ((في اللاتينية من Ratio ويعني الحساب المنظم وهو قريب من الكلمة اليونانية Logos التي تعني كل خطاب متناسق ومترابط و كذا كل حقيقة ممثلة في خطاب ما))[2]. وفي العربية ((مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائل والمحسوسات بالمشاهدة))[3]، أي أن العقل هو الجوهر المجرد المنظم لإدراك الحقيقة في شكل خطاب.

والفرق بين العقل Raison والعقل Intellect أن الأول ((ملكة استخراج النتائج الصحيحة من مبادئ معروفة ، والثاني هو الإلحاح الذي يوفر المبادئ للعقل الأول[4] ، وبهذا فإن العقل منقسم على ذاته بنية وزمانا، واكنه يظهر موحدا عند فعل المعرفة أي عند فعل القبض على المعقول Noéton بما هو موضوع ملكة نظرية حدسية (Nous))[5] وهذا ما يجعل مفهوم العقلIntellect أقرب إلى الإلهي بوصفه قاعدة المبادئ))[6].

وعليه فإن مفهوم العقل يدخل ضمن مفهوم الملكة وهو ما يدعونا إلى مراجعة مصادر الخطاب في إنشائيته المزدوجة: صناعة المعقول والقبض على المعقول ومنه سيكون ((العقل هو ما ينشئ مفاهيم المواضيع المطلقة الأخيرة في السلم التنازلي لأسئلة ((لماذا؟)) والأولى في نظام الوجود، وهي المفاهيم التي يدعوها كانط ب((الأفكار)) الموزعة

---

[1]- المرجع نفسه، ج1 ، ص 173 .

[2] - Encyclo. Philo. T2, Op.cit, P:2149.

[3]- الجرجاني، مرجع سابق، ص157.

[4] - Encyclo. Philo. T2, Op.cit, P:2150.

[5]- Ibi, P:649

[6]- وهو ما يحيلنا إلى ديكارت في بحثه عن مصدر مبادئ العقل وكدا كانط في جعله العقل مبادئ قبلية منظمة للمعرفة.

على ثلاثة محاور: الروح Ame، العالم Monde، الإله Dieu التي تشترك في الوظيفة الشاملة والإحالة إلى المطلق)[1].

4/ ماهية النفس أو الروح:

يعرف لالاند النفس بأنها ((تشكل مبدأ الإحساس أو الحساسية، حتى لدى الكائنات التي لا تملك عقلا))[2]، وهي بهذا تتميز عن العقل، ويتداخل مفهوم النفس مع مفهوم الروح إلى حد اعتبارهما ((لفظين مترادفين))[3]. غير أن الروح تأخذ مكانها في الفلسفة الأفلاطونية المحدثة خصوصا ـ كماهية معقولة، فهي ((تتعين كماهية بحيث أن الإلهام الإلهي ليس لإعطاء الحياة للجسد ولا لتسييره كجزء من العالم المرئي الذي يجب أن يكون في تناغم مع الكل، ولكن إغراء الطبيعة والقانون يعميها عن إلهامها الحقيقي ويوهمها بأنها مجرد روح Ame أو طبيعة إنسانية Chair. والمعرفة الروحية la gnose هي اكتشاف ماهيتها الحقيقية))[4]، والروح أو النفس بهذا المعنى تصبح عتبة ماهوية أمام المعرفة وهي العتبة نفسها التي تقف على الحدود المتاخمة بين العقل و الإله.

5/ العالم المتكثر:

دراسة مفهوم العالم مكملة للحلقة التي تسعى الفلسفة إلى ربطها بين الإله والعالم . يقول صاحب التعريفات ((العالم لغة عبارة عما يعلم به الشيء واصطلاحا عن كل ما سوى الله من الموجودات لأنه يعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته))[5]. وبهذا نجد ارتباطا بين مفهوم الإله والعالم بشكل جذري، هذا من الناحية الوصلية أما من الناحية الفصلية فإن ((مصطلح عالم يعرف بمعنى عام كوحدة منظمة للكائنات المتعددة . وبهذا لا يمكن أن

---

[1]- Encyclo. Philo. T2, Op.cit, P:2150.

[2]- موسوعة لالاند، مرجع سابق، ص 51 (ويضيف لالاند في شرحه لمفهوم ((نفس العالم)): إن إله الرواقيين بربط ((نفس العالم)) الأفلاطونية بالعقائد اللاحقة ويغدو الأقنوم الثالث عند أفلوطين).

[3]- جميل صليبا، المرجع السابق، ج2، ص 481.

[4]- (Encyclo. Philo.T1, P:849, P852)- (كما يمكن اختزال تعريفها في كونها جوهرا حيا).

[5]- الجرجاني، التعريفات، المرجع السابق، ص 139 .

نسمي الإله ب: ((عالم)) لأنه وحدة لا تتضمن التعدد الداخلي[1] وها هنا عودة إلى الثنائية الأفلوطينية (الوحدة / الكثرة) .

و((يعطى مفهوم العالم كتمظهر جمالي، فالكلمة Cosmétique مأخوذة من الكلمة اليونانية Kosmo (العالم) كما تحيل الكلمة اللاتينية Mondos إلى الكلمة ذات المعنى المخالف Immonde وتعني الوسخ))[2]. ومنه تكون الصورة الجمالية للعالم كلية من كليات تعقل الكثرة وكذا فإن الكثرة تفرض قانون تعقلها وهو نفسه قانون العالم. والعالم بهذه المعاني يعطى كنظام مكتمل للواقع من خلال تسلسل الحوادث و الطبيعة واندراجها في كل منتظم .

وانطلاقا من هذه المفاهيم يؤسس أفلوطين فلسفته[3] كقراءة جديدة لأفلاطون وكنقد لأرسطو. وبهذا يوفر تأويلا ثريا للفلسفة اليونانية وطرحا فلسفيا مختلفا. هكذا يفتح العمل الفلسفي الذي يقدمه الباب واسعا أمام الخطاب الفلسفي لمراجعة مفاهيمه المؤسسة، وبهذا تندفع قراءات أخرى نحو إعادة خلق آفاق معرفية في المنطق واللغة كما في الفلسفة.

---

[1] -Encyclo. T1, P:167 1

[2]- وهذا يعني أن التمثل الجمالي للعالم يحيل إلى معرفة الإله بما هو جميل مطلق، إذ أن انتظام العالم بشكل جمالي يجعله ينزاح عن كونه حقيقة موضوعية جافة).

[3]- حسب أفلوطين، العالم المعقول مبني على ثلاثة أقانيم أو جواهر الواحد، العقل، النفس:

أ ـ الواحد: هو الحقيقة العليا وإله أفلوطين، وهو ليس بالمعرفة لأن المعرفة تفترض ذاتا عارفة وموضوعا معروفا ليس بالوجود بل هو مصدر الوجود وأفلوطين يسميه ((الخير)) أو ((الأول)) إنه ضامن تماسك الأشياء، هو مصدر كل شيء، ولا يرغب في شيء (لأن الرغبة نقص فهو كامل). لكن بما أنه كامل و عظيم فهو ينزع إلى توليد موجودات أخرى .

ب ـ العقل: هو الوجود المعقول لدى أفلوطين، إنه الوحدة المتعددة، حيث يشتمل على أفكار متعددة ولكنها تشكل كلا موحدا، والعقل مبدأ كل عدالة كل فضيلة، وكل جميل، ويجعل الحقيقة متماسكة ومتناغمة، والعقل يفكر في الواحد ويولد الأقنوم الثالث .

ج ـ النفس: هي الواسطة بين العقل الذي تصدر عنه (النفس) وبين العالم المحسوس الذي يفيض عنها. هي نوع من الحركة ولكن حركة منطقية، عقلية، منظمة، تخلق عالما منظما وتنقسم إلى أرواح فردية (مثل البشر، الحيوانات، النباتات). النفس الإنسانية هي جزء من هذه النفس الصادرة عن العقل الفائض عن الواحد. وبهذا تكون كل نفس جزءاً من الإله.